كردستان.. ربيع آخر متألق في ظل الحرية

صافي الياسري

> اتيحت لي فرصة كنت احلم بها منذ نحو ثلاثين عاماً لزيارة كردستان والسياحة في ربوعها ومدنها والاستمتاع بسحر طبيعتها وطيبة اهلها وقراءة بعض تاريخها. وكنت اتمكن ان تطول اقامتي فيها ولكن للضرورة احكامها ، فاقمت في السليمانية اربعة ايام برفقة الزميل سعد سلوم رئيس تحرير مجلة مسارات الفكرية الثقافية والزميل صفاء ذياب / سكرتير تحرير المجلة.

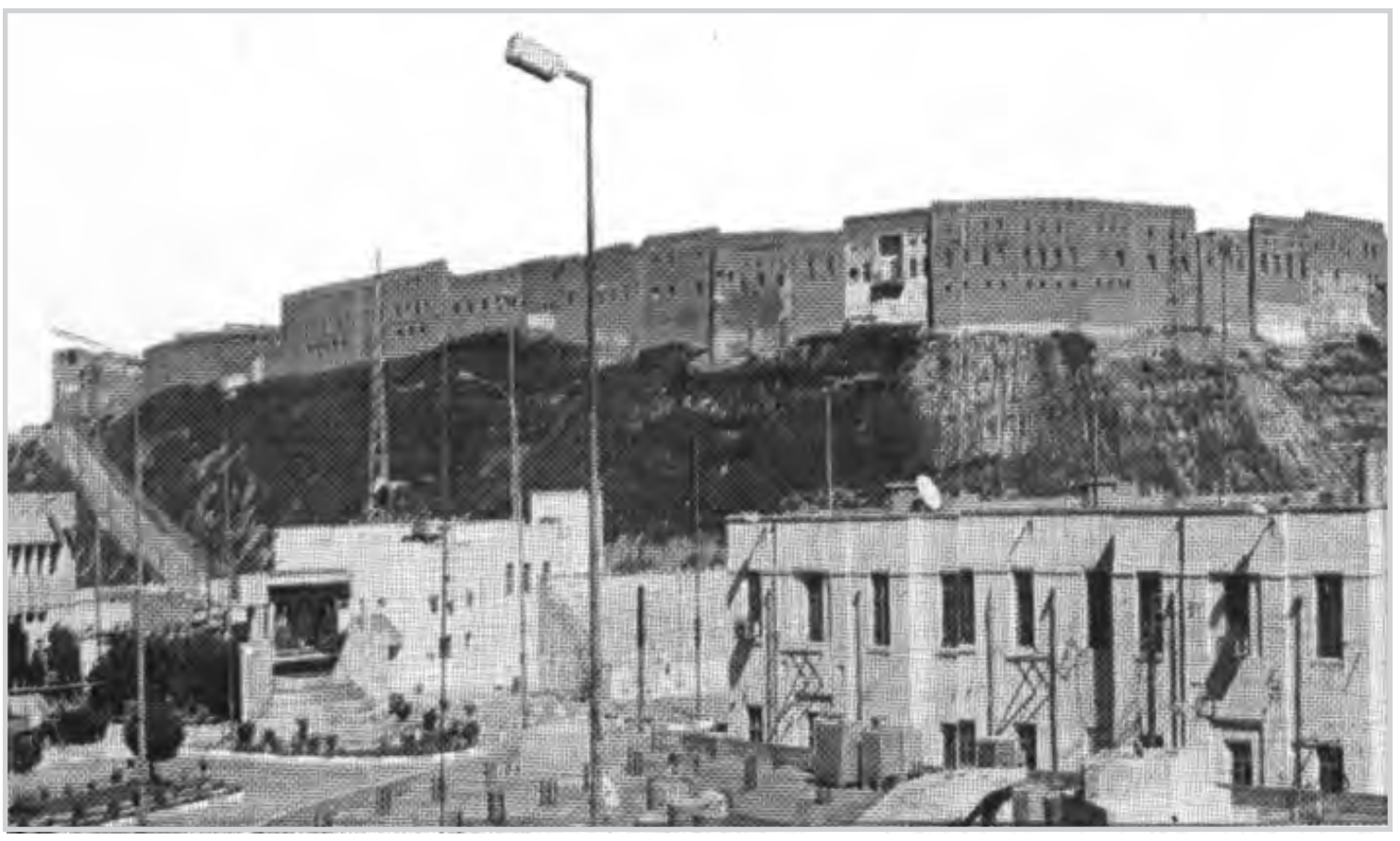

* هي مملكة الزهور الناعمة بالامن والامان
* هنا حيث تعمل اشارات المرور ويسود النظام

في الطريق بين الخالص والعظيم باتجاه كركوك محطتنا الوسطى الى السليمانية صدمنا منظر سيارة مفخخة اصطدمت بشاحنة تحمل مواد تجارية وبضائع الى المحافظات الشمالية، وقد دمرت المفخخة والشاحنة، ولم نبتعد كثيرا حتى شاهدنا شاحنة اخرى تشتعل فيها النيران على جانب الطريق بعد ان تعرضت لقصف بقذائف الار-بي-ج، وحين طلبت ان اصورها حذرني زملائي من خطورة المكان، واخبرنا السائق وهو كردي من السليمانية، ان هذه المنطقة من اشد مناطق الطريق خطورة وينشط فيها الارهابيون وقطاع الطرق، ومع ان الحوادث فيها قد خفت الا انه لم تتم السيطرة عليها تماماً. نعبر ناحية سليمان بك وطوز خرما تو وداقوق وتازة، وعلى مداخلها مفارز الشرطة والجيش وفي الطريق ربما صادفتنا دوريات القوات متعددة الجنسيات ترافق ارتالاً من الشاحنات المحملة باللوازم اللوجستية الخاصة بالجيش الامريكي، وربما قطعت الطريق لحين مرور هذه الارتال، نصل كركوك متأخرين قليلاً عن الوقت المحدد بسبب زحام السيارات على مداخل المدن المذكورة وكثرة مرور الارتال والدوريات الامريكية.

بين كركوك والسليمانية

هنا يختلف الطريق الواصل بين المدينتين، فهو مكان من خطين او شارعين للذهاب والاياب بعكس طريق الخالص كركوك المكون من شارع واحد تكثر فيه حوادث الاصطدام ويقطع بسهولة عند حصول أي حادث مرور، فجانبا الطريق غير صالحين حتى لاجراء تحويلات مؤقتة، وفي الاونة الاخيرة بدأت الجهات المختصة تهتم بشق طريق مواز للتخفيف من شدة الزحام وكثرة الحوادث بسبب زيادة سيارات النقل العام والخاص وشاحنات نقل البضائع التي تزايدت اعدادها بعد زوال الحواجز بين كردستان ومدن الوسط والجنوب. والطريق هنا معبد بشكل جيد والصيانة فيه من قبل حكومة اقليم كردستان مستمرة، وهو يتلوى بانسيابية بين جبال كردستان الشامخة ووديانها وتلالها الملونة بالخضرة الممزوجة بتركيبة لونية توزعها الزهور البرية حتى على شقوق حواف الطريق المزينة بالحصى الملون هو الاخر، وخفقات اجنحة الوان الطيور وريشها الذي يخطف البصر في تناسقه الكرنفالي مع سماء آمنة زرقاء صافية حيناً وشفقية حيناً اخر يوشحها قوس قزح او تعبرها غيمة داكنة تبشر بخير عميم.

ومنذ انتفاضة آذار عام ١٩٩١ وحتى اليوم شطب الاخوة الكورد في السليمانية خارطة المعسكرات الصدامية التي كانت توزع الموت والرعب وعبوات الغاز القاتل وسموماً لا حصر لها، لا تفرق بين البشر اطفالاً ونساءاً وشيوخاً ورجالاً وبين النبت ازهاراً واشجاراً وعشباً والحيوانات والطير.. و لا اريد ان استعيد تلك الصور المؤلمة التي انتجتها افعال صدام في حلبجة وقرى الكورد الاخرى وان كنت اؤكد انها سوف لن تمحى من ذاكرة الكورد، لكني اريد القول انهم تمكنوا خلال سنوات قلائل ان يرسموا صورة اخرى لارضهم وانسانهم مفعمة بالفرح وممتلئة بالصحة والعافية والامن والمعرفة والنظام.

في السليمانية

في المدخل كانت اجراءات التفتيش يسيرة جداً فقد اكتفى رجال (الاسايش) بفحص هوياتنا وحين عرفوا اننا من الصحفيين رحبوا بنا بحرارة وقالوا لنا ان السليمانية هي مدينتنا الاخرى. ندخل شارع مولوي ونحن ندلف الى المدينة التي تطوقها غابة من الرافعات وهي تنجز مهمات بناء شقق سكنية وعمارات وفلل وقصور، ويلفت انتباهنا بستاني يتعهد الزرع والشجر بآلة رش المعقمات وهو يرتدي قناعاً خاصاً مما قد نألفه في اوربا والبلدان المتقدمة ونفتقده في بغداد التي انتشرت على العديد من جزرات شوارعها الوسطية حطام السيارات المفخخة وحفر العبوات الناسفة، وبدأ حتى البستاني يخشى ان يعزق ارض الجزرة الوسطية في العديد من شوارع العاصمة خشية ان يستهدف لانه متعاون مع سلطات الاحتلال!

اما ان نجد هذه الصورة في السليمانية فنحن نبتهج وننظر الى مستقبلنا بثقة. وتلفت انتباهك تلك اللوحات الزاهية التي رسمت على الجدران الجانبية التي تحتضن الشارع ودرجة رقي البناء في البيوت والصور المطلة على جانبي الشارع، ثم واجهات المحال وديكورها البديع وطرق تنظيم عرض البضائع والاستقبال الحضاري للزبون.

كنت انظر مذهولاً الى رفاقي فقد كانت صورة السليمانية في ذهني تعود الى اكثر من ثلاثين عاماً ولم تكن سوى قرية كبيرة بعض الشيء متعبة يتوزع زواياها الانضباط العسكري والقوات الخاصة، ولم اكن اتمكن من التمتع بزيارة ربوعها السياحية بحرية ولكني اتذكر ان سائق تاكسي تبرع ذات مرة ليأخذني الى مصيف سرجنار الذي لم يكن سوى فندق حكومي اسفله نهر صغير تحيط به الاشجار ومزرعة (بكرة جو) الحكومية التي كان يمنع على الجميع دخولها.

اما مصيف احمد آوه، فقد تحول في الحقيقة الى معسكر، او نقاط التفتيش العسكرية على مداخل ومخارج السليمانة تحذرك من قضاء وقت طويل في تلك الاماكن بسبب (خطورة) الوضع فيها (فالبيش مركه)يتصدون للقادمين الى هذه المناطق، ولم يكن هذا صحيحاً بالطبع، فقد كنا نجالس الاكراد ونزور بيوتهم بناء على دعواتهم ونحاور مثقفيهم ونناقش اصحاب المحال دون ان نخشى اعتداءاً بل على العكس كنا نجد الترحيب، وحين يثق الكوردي بشخص ما، فان من الصعب انتزاع هذه الثقة من داخله، ولهذا كنا نسمع شكاوى مريرة من انتهاكات القوات الحكومية العاملة في السليمانية. وفي شارع مولوي .. او في احدى ساحاته وقفت (شرطية) شقراء تنظم سير المرور، ظننتها امريكية فحاولت الحديث معها بالانجليزية لكنها اخبرتني بانها كردية وانها لا تتحدث العربية ايضاً فاستعنت باحد الضباط من شرطة المرور وكان يتقن العربية، ففهمت منها ان المرأة الكردية في السليمانية اقتحمت كل ميادين العمل في دوائر الدولة والشركات الاجنبة والمحلية والاعلام، ودوائر الشرطة ايضاً. وهنا يلتزم سواق السيارات اشارة شرطي المرور دون حاجة الى عقوبة او تخويف، كما ان (الترفك لايت) يعمل بفاعلية في شوارع المدينة، فالسليمانية لا تشكو من انقطاع التيار الكهربائي على مدى ٢٤ ساعة، ومستوى الخدمات الاخرى كالماء والمجاري والتنظيف في اعلى مستوياتها.

ما شكوت منه في السليمانية هو مستوى الاسعار المرتفع، وبخاصة في الفنادق والمطاعم، ففندق من الدرجة الثانية لا تقل اجرة المبيت فيه عن ٤٠ الف دينار لليلة الواحدة وتتراوح اجرة الفنادق المتوسطة بين ٣٠ واربعين دولاراً مثل فندق (ابو سناء) في منطقة بختياري قرب سرجنار، وفندق سليماني بالاس يتقاضى ٦٠ دولاراً في الليلة وفندق ازمر ٨٠ دولاراً وثمن الوجبة الواحدة للطعام في هذه الفنادق يتراوح بين ١٢٠٠٠الف دينار و ٢٠ الف دينار وهو ما لا يشجع اصحاب الدخل المتوسط من بقية انحاء العراق على السياحة في كردستان، ومع ذلك فقد التقيت عوائل كثيرة في فنادق المدينة وفهمت منهم انهم هجروا مدنهم بسبب انعدام الامن وانهم يعملون الان في هذه المدينة في مجال الاستثمارات السياحية وفي قطاعات اقتصادية وصناعية وتجارية مربحة، وان هناك عوائل استأجرت وحتى اشترت بيوتاً واستوطنت المدينة، وبهذا الشأن اخبرني عدد من المستثمرين الكورد والتجار من سكان المدينة ان رؤوس اموال ضخمة غادرت السليمانية لتستثمر في بغداد وعدد من المدن العراقية الاخرى.

اربيل

ومن السليمانية الى مملكة زهور اخرى هي اربيل حيث كنا على موعد مع اجتماع ضم اكثر من ٢٠٠ صحفي وكاتب واعلامي عراقي نظمته نقابة صحفيي كردستان برعاية الاتحاد الدولي للصحفيين، وطوال الطريق الممتد بين كركوك واربيل كان المطر العذب يغسل زجاج سيارتنا ويعانق الشجر والعشب والازهار لكنه كان يعرقل سيرنا فالطريق لم يكن بالمستوى المطلوب من التبليط فقد اهمله النظام السابق تماماً ولم تتح الفرصة لاسباب عديدة للجهات المختصة من مد يد الصيانة اليه. لكننا في مساحة الطريق التي اقتربنا فيها من عاصمة كردستان اربيل، كان المطر قد توقف، وكانت قوافل السيارات متوقفة على جانبي الطريق وبعض العوائل انشغلت بأعداد الطعام وهو في الاغلب من المشويات بينما انصرف الشباب الى حلقات الرقص ذات النكهة الكردية المميزة، والموسيقا والاغاني ذات الطابع المحلي، وهنا يمكنك ان ترى الكثيرات ممن يرتدون الزي الكردي المميز بألوانه الزاهية، على العكس من مدينة السليمانية التي قضيت نهارا كاملاً ابحث في شوارعها عن امرأة او شابة ترتدي هذا الزي دون جدوى، فالغالبية هنا من النساء يرتدين الزي الحديث وبخاصة (البنطلون والتي-شيرت)، بينما في اربيل تجد من ترتدي الزي الحديث الى جان من ترتدي الجبة الاسلامية الى جانب من ترتدي الزي الكردي والعباءة العراقية المعروفة. واربيل هي الاخرى تتمتع بالامن والامان، واسعارها ارخص من السليمانية ولا سيما الفنادق والمطاعم وايجار الدور.

معالم اربيل السياحية

واربيل كما يقول الاثاريون هي التسمية الآرامية التي تطورت عنها السريانية كما يقول الاثاري نوزاد حكيم من مديرية اثار اربيل. ويضيف انها تحريف من الكلمة (اربا ايلو) أي الآلهة الاربعة ويخالف نوزاد عدداً من الاثاريين العراقيين في انتماء (قلعة اربيل) الى الفترة الآشورية، ويقول انها ترجع الى خمسة او ستة آلاف سنة وتحديداً الى الفترة السومرية - قصر حسونه وحلف، وهي تعد اكبر القلاع في العالم القديم وقد تعرضت من الى هجمات عديدة من قبائل متعددة الاجناس قبل التاريخ، وهي مبنية على شكل دائرة محصنة باسوار عالية ومساحتها تبلغ كيلو متراً واحداً مربعاً، وهي في الحقيقة مركز اربيل، وكانت تتبع الموصل ادارياً لكنها نمت وصارت مركزاً لكبرى مدن كردستان. والقلعة يمكن دخولها من اربعة ابواب، الباب الرئيس هو باب (عنكاوة) التي حرفت الى (عينكاوه) وعينكاوه اصلها عمكو ثم عمكابا ثم انكاوه وهي تعني ارض الشعب (عم: شعب) (كو: ارض) ويقع فيها تل قصرا او تل القصر وهو بناء يرجع الى الفترة الآشورية وكنيسة ماركركيس التي يعود بناؤها الى نحو ١٢٠٠ سنة، وهي الان مدينة كلدانية بالكامل.

وفي جولة شخصية في القلعة شاهدت انها مازالت مسكونة منذ آلاف السنين وان الحجر الذي بنيت به بيوتها او الطابوق يوحي هو الآخر بالقدم وبناء هذه القلعة على شكل دائري يدل على انها بنيت لاغراض عسكرية وهي تحوي اضافة الى البيوت مخازن لخزن الحبوب والمواد الغذائية التي تستخدم اذا ما تعرضت القلعة للحصار، ومن الطريف ان ترتفع على اعلى بيوتها واسوارها اطباق وصحون (الستلايت) معلنة عن الاتصال الحضاري او التكنولوجي بالعصر، اما ابواب القلعة الاخرى فهي باب الاحمدية وباب القلعة وباب العجوزة. وتحتها يقع (حمام القلعة) الذي يبلغ عمره اكثر من ٢٠٠ عام. ويقول رئيس قسم السياحة في المعهد الفني في شقلاوة (تعد القلعة اثراً طوبوغرافياً بارزاً في اربيل وترتفع الى علو ٢٥ متراً وتشغل مساحة قدرها ١١٠ آلاف متر مربع) وبرغم التناقض الواضح بين تقدير مساحة القلعة بين الآثاريين فان لكل واحد منهم وجهة نظره التي نقلناها بامانة، ويضيف السيد نصرت قائلاً انه ذكر في النص المسماري ان اربيل هي احدى المدن الآشورية القديمة وقد سكنها (اتابك) التركي حاكم اربيل عام ٥٢٢ واتابكة اخرون حتى عام ٦٣٠، وفي عصر السلطان مظفر الدين الكوكبري تم تطوير القلعة وبناء جامع فيها ومجموعة اخرى من البيوت اضافة الى ترميم وتعمير ما هدم سابقاً. وقد اثارت قلعة اربيل وشدت اليها العديد من الاثاريين والمتخصصين فاعدوا بحوثاً كثيرة حولها وباعتبارها اقدم قلعة آثارية مسكونة حتى اليوم، اعد البروفسور د. خليل اسماعيل محمد من جامعة صلاح الدين- اربيل دراسة مهمة حول اتجاهات نمو السكان في قلعة اربيل نقتطف من بحثه الواسع ما يهمنا نلقه الى القارئ الكريم، فهو يقول (يرى كثير من الباحثين ولا سيما من المؤرخين ان القلعة كانت مأهولة بالسكان منذ خمسة الاف سنة في اقل تقدير، كما انها كانت قاعدة لدول عديدة مثل الكوتيين والميتانيين والكلديين والميديين، فلا غرو ان يطلق المؤرخون عليها (تل المدن السبع) اشارة الى الادوار التاريخية التي شهدتها المنطقة ابتداء من السومريين والبابليين ومروراً بالعهود الفارسية واليونانية والفرثية والساسانية وانتهاء بالعهود الاسلامية ، وفي ظل حجم السكان في القلعة الذي تنامى في العهود الاسلامية اصبحت عاصمة للامارة الاتابكية وقاعدة لبلاد شهرزور خلال القرنين السادس والسابع الهجريين وقد اتخذ الهذبانيون القلعة مركزاً لامارتهم سنة ٥٢٢ هـ وفيها تأسست امارة آل بكتكين.

ومن الجدير ذكره هنا ان اهم احياء القلعة السكنية هي السراي والطوبخانة والتكية وهي تسميات تركية ما زالت تستخدم حتى اليوم، وبرغم من ان العديد من سكان القلعة هجروها الى احياء اخرى في مدينة اربيل الا انها مازالت تضم اكثر من ستة الاف نسمة ومستوى الخدمات فيها لا بأس به، الا ان عموم القلعة ومبانيها بحاجة الى تطوير وصيانة دائمة كما ان سكان القلعة يتعاملون عملياً كحي سكني وليس كقلعة اثارية يجب ان تعامل مبانيها وطرقها معاملة خاصة، وعلى هذا فان مكتب الاثار الموجود في القلعة يتحمل مسؤولية مهمة في توعية السكان بهذه الحقيقة.

ويكتب الدكتور صلاح سلمان رميض الاثاري المعروف "ان الادلة التاريخية كثيرة ومتعددة بصدد اصالة وعمق جذور قلعة اربيل ولا سيما البقعة الجغرافية لعموم منطقة اربيل، فالمعالم الاثرية واضحة سواء على نطاق معالم القلعة ام من خلال انتشار المواقع الأثرية التي زادت على خمسة وتسعين موقعاً والتي أشارت المسوحات الميدانية السابقة الى كونها موغلة بالقدم ويرجع البعض منها الى فترة حسونه كموقع (اسطة عرب) الذي اسفرت نتاج التنقيبات فيه الى وجود اثار تعود الى فترة حسونه منها جرار مختلفة ومتنوعة، اضافة الى ما اسفرت عنه نتائج التنقيبات في مواقع اخرى من وجود مخلفات ابنية معمارية تعود لفترة لاحقة انتشرت على عموم وادي الرافدين، مثال ذلك تل قالينج آغا على مقربة من ا لقلعة، كما ان هناك ادلة اخرى مدونة بوثائق وصلت الينا بالخط المسماري تشير بصورة او باخرى الى اهمية هذه المنطقة عبر التاريخ وخاصة القلعة التي نحن بصددها.

واقدم ذكر لها ورد في كتابات الملك السومري (شولكي) بصيغة URBILUM ووردت ايضاً بصيغة اربيلا حيث كانت ضمن امبراطورية اور الثالثة، وجاء ذكرها بالكتابات البابلية والآشورية بصيغة (اربا- ايلر) التي تعني اربعة المهمة، كما اشتهرت بكونها من مراكز عبادة آلهة عشتار التي نسبت اليها عشتار - اربيلا) ويمضي الاستاذ الدكتور صلاح سلمان قائلاً: ان قلعة اربيل ورد اسمها في الكتابات المسمارية بصيغة (آي. كشان- كلاما) أي سيدة الاقليم كذلك ورد اسم المعبد مقترناً باسم الملك اشور - وان الذي دام حكمه من ١١٧٩ - ١١٢٤ ق. م وذلك في نص مسماري منقوش على تمثال برونزي عثر عليه عند بحيرة اورومية لكنه جاء اصلاً من اربيل، وتتعدد البحوث والاراء حول مدينة اربيل وقلعتها التاريخية ومواقعها الاثارية المتعددة مما يعطيها اضافة الى جمال طبيعتها واعتدال مناخها بعداً اخراً فعالاً لتنشيط السياحة وفي الحقيقة حين زرنا قرية عنكاوه ذهلنا لانها تعد حتى الان قرية فهي مدينة متحضرة منظمة وبيوتها بنيت على احدث طراز . وقد سألت احد الاخوة في الجمعية الثقافية الكلدانية في المدينة عن السر في ذلك، فلم يحر جواباً، وعنكاوه كما اشرنا مدينة كلدانية، بالرغم من ان جذورها التاريخية اشورية كما يدل على ذلك (تل قصرا) الذي بني فيه قصر احد ملوك اشور. ومما يؤسف له ان اوقات اجتماعات الصحفيين كانت تستغرق يومياً نحو سبع ساعات يضاف لها اوقات تناول الطعام وساعات الاستراحة التي لم تكن تتجاوز ساعة ونصف بين الاجتماعين، بحيث اننا كنا ننهي اعمالنا في الساعة السادسة والنصف مساء وليس امامنا مرة اخرى سوى ساعة ونصف لتناول الطعام، فلم تكن وفق هذا البرنامج لدينا مساحة وقتية لزيارة مواقع اربيل السياحية الرائعة مثل شقلاوة وصلاح الدين وسره رش وسولاف، ولا نلوم نقابة الصحفيين الكردستانيين فقد كانت عل عاتقها مهمة توجب عليها القيام بها، وكان لنا طموحنا الخاص، ومع ذلك فاننا تمكنا من سرقة بعض الوقت المضاف الى ساعة الاستراحة لاستكشاف اسواق اربيل العامرة وشوارعها التي تؤكد انها تحتاج الى مزيد من العناية، ولا انكر هنا ان من اجمل ما كان يشغلنا هو التطلع الى قلعة اربيل وسفحها الاخضر واسوارها التاريخية من نوافذ فندق برج اربيل الذي يقع بمواجهتها حيث سكنا.

تحت الضوء

ذكّر إن نفعت الذكرى

علي حسين عبيد

ثمة دلائل تشير الى ان شخصيات تمثل قطاعات مهمة ممن قاطعوا الإنتخابات ستشترك في كتابة الدستور، وإذا صح ذلك وانتقل من خانة التكهنات والدلائل الى حيز التطبيق الفعلي فإننا سنطمئن الى ان الشعب (بكل أطيافه المتعددة دينيا وعرقيا أو معظمها) سيسهم في وضع البنود التي ستنظم علاقة أفراده مع بعضهم البعض من جهة ومع الحاكم القادم من جهة اخرى.

إذن.. ما المطلوب من ممثلي الشعب الذين اقتعدوا مقاعدهم في الجمعية الوطنية العراقية؟ ترى هل ستتذكر هذه النخبة التي إنتقاها الشعب أولئك الذين أوصلوها الى البرلمان، وهل تعرف ما هو مطلوب منها، وهل ستبذل الجهد الذي يكفي لتحويل آلاف الأحلام المؤجلة للعراقيين الى واقع معيش لايقبل الشك؟.

هل سيتذكر أعضاء البرلمان بأن العراقي هو أول من سن القوانين عبر مسلة حمورابي الشهيرة فصارت بذلك فنارا للإنسانية جمعاء؟

هل سيتذكر البرلمانيون بأن العراقي لم ينعم بلحظة واحدة من الحرية الحقيقية التي تحفظ له إنسانيته وكرامته التي هُدرت عبر مئات السنين؟

وهل سيتذكر البرلمانيون ضحايا العراقيين التي قدموها عبر رحلتهم الإنسانية على مذبح الحرية؟

وهل سيتذكر البرلمانيون بأن العراق جسد واحد وأن الشعب (بعربه وكرده وأقلياته وبسنته وشيعته)هو روح العراق الجبارة؟

وهل سيتذكر البرلمانيون بأن كبيرهم يجب ان يعطف على صغيرهم وان أصغرهم يجب ان يحترم اكبرهم حتى لو اختلف معه بالرأي وان أغلبيتهم يجب ان لاتغمط حقوق الأقلية منهم؟

وهل سيتذكر البرلمانيون بأن العراقي هو المثل الأقوى في العالم لكائن بشري تُسرق ثروته أمام عينيه في داخل بلده وخارجه وهو مكبل بأغلال الخوف والبؤس والحرمان؟ وهل سيتذكر البرلمانيون بأن العراقي هو الكائن البشري الوحيد في دول العالم الذي لاينعم بالكهرباء لعشرين ساعة في اليوم؟

وهل سيتذكر البرلمانيون ان الطفل العراقي هو الوحيد من بين اطفال الدول (النفطية) الذي يشرب ماءً تسبح فيه الديدان القاتلة ؟

وهل سيتذكر البرلمانيون ان الطفل العراقي هو الأكثر حرمانا من التعليم واللهو الطفولي والأكثر إنشغالا بلقمة العيش من بين اطفال العالم حتى تحولت طفولته الى شيخوخة قاحلة؟

وهل سيتذكر البرلمانيون ان العراقيين هم الشعب الأكثر حرمانا من نعمة التجوال في رحاب الارض وان البلد الوحيد الذي تحول الى سجن كبير لشعبه هو العراق؟

وهل سيتذكر البرلمانيون ان الرشوة داء مستفحل في العراق وان نسبة المختلسين فيه تفوق مثيلاتها في دول العالم أجمع؟، وهل وهل وهل.

وأخيرا نقول للبرلمانيين : هل تعون أيها السادة بأنكم تشيدون الأساس وترصفون الحجر الأول لبيت عراقي كبير يريده العراقيون ان يتعالى أبدا في فضاء الحرية حتى يعانق وجه سمائها.